داخل خط مستقيم . فهناك بداية وهناك نهاية . وبين هذين الحدين تتطور الشخصيات للوصول الى نقطة اساسية : فالهزيمة كشفت تهافت البناء . والسكوت عن القمع كان أحد أسبابها الرئيسية . وتتحول هذه النقطة الى بشارة جديدة . فموت حلمي حماده ، وعلاقة اسماعيل الشيخ بالفدائيين، لا يحجبان الحقيقة الجديدة . التي تتجلى في منير أحمد ، رمز الجيل الجديد . انه عودة الى الوحدة القديمة ، التي تبحث عن الاصالة دون الوقوع في السلفية ، والتي لا تتحجر عند عقيدة جامدة !

ب ــ القمر الاجتماعي : في تطويره للخط الروائي الواحد ، لا يهمل محفوظ اضاءة بعض الجوانب الاجتماعية التي تشكل خلفية ابطاله . فالضحايا هم طلاب . اثنان منهم ابراهيم وزينب من بيئة شعبية . والثالث الشيوعي من بيئة برجوازية صغيرة . يواجهون قمعا غير متوقع . فالارهاب الذي يسقط عليهم فيقتل احدهم ويدمر زينب واسماعيل هو ارهاب غير متوقع وغير مبرر . غير أن عدم اهمال الخلفية الاجتماعية ، لا يؤدي دائما الى الوصول الى القدرة على تضمينها داخل البنية الروائية . فنحن أساسا امام لوحة مجتزأة . محفوظ يحدد بشكل صارم **مكان** حركة روايته . فنحن اما في المقهى او في زمن التذكر خارجه . اما **الزمن الموضوعي** البارد الذي يفرض صرامته على مجمل العمل الروائي فانه لا يفسح مجالا حتى لحظة الذكريات لاي تراجع عن وجهه الثابت . فلا مكان لتلك اللحظات التي تستطيع أن تلخص حركة اجتماعية متكاملة . لذلك تبقى أمام مجموعة من الاحتمالات التي لا تستجمع نفسها داخل الحركة . بل تتجمد لتقمع اي حقل صراعي حقيقي. مؤكدة ابعاد الحركة الاجتماعية عن مسار الرواية ، حتى لا يختل الخيط الايديولوجي الموحد حول نقطة ثابتة .

البنية التقاطعية : يمزج محفوظ في روايته الجديدة ، بين التقطيع المتحرك الذي عرفناه في «ميرامار» والتقطيع التسجيلي الذي يميز «المرايا» . والواقع ان خفوت الحركة الاجتماعية في الرواية ، يجعلنا نكتشف صلاتها الكبيرة « بالمرايا » . فالطابع التسجيلي الذي يقترب من لغة الصحافة يهيمن على العمل الروائي بأسره ، يقسم الكتاب الى قسمين :

في **القسم الاول** يغلب الطابع السردي هناك على شخصية المؤلف الطاغية ، التي نرى من خلالها الواقع . فساعة المؤلف تعطلت وكان عليه انتظار اصلاحها .. من هنا يهتدي الى مقهى الكرنك وتبدأ قصته معه . هنا نتعرف على جميع شخصيات الرواية . لكن معرفتنا بهم تبقى ناقصة . فالراوي يقتطع المعلومات والاحداث ، يضغطها حتى نصل الى النقطة الاساسية ، ظاهرة اختفاء الشبان من المقهى . في القسم الاول تتدخل ثلاثة عوامل في بناء حركة الرواية :

السرد التدخلي . هدف السرد ليس الوصف ، أو الوقوف عند الظاهرات . انه سرد تدخلي سيكولوجي . فلا يكتفي الراوي بوصف الحالات ، بل يقوم بتفسيرها بشكل واضح . « ومن ركن الشباب انبعث الحماس فوارا كالهدير . عند أكثريتهم يبدأ التاريخ بالثورة مخلفا وراءه جاهلية مرذولة غامضة . انهم ابناؤها الحقيقيون ولولاها لتشرد اكثرهم في الازقة والحواري والضياع » . يلعب تدخل الراوي في هذا السرد دورا مزدوجا ، فهو يغطي الحيز الذي يتركه محفوظ عادة لسرده الموضوعي ، الذي يقوم بوضع الخلفية الموضوعية للرواية . كما يسمح بالمقابل بعملية ضغط لهذا الحيز تسقط عليه نقطة المنطلق ، فتكون بذلك قد شلت الخلفية الموضوعية ، دون ان تمسها ظاهريا .

الذكريات الموضوعية . تأتي الذكريات الموضوعية في بداية الرواية ، لتضع المسافة الحاسمة مع المشاعر الشخصية المتناقضة عادة . فالذكريات تصف من الخارج ، لا تدخل اللاوعي أو العوالم الخفية . تبقى عند حدود الظاهرات ، بل وتشترك مع هذه الظاهرات في وضع الحدود الحاسمة . « سمعت عزفا وطبلا ، شممت بخورا ، رأيت جسدا يتموج . راقصة، نجمة عمادالدين، الراقصة قرنفلة ، حلم الاربعينات الوردي » . وحين نصل الى الذكريات القريبة جدا ، والتي تساهم في صنع الحدث الروائي . فالذكريات الموضوعية تأتي بصيغة جديدة ، لتساهم من داخل السرد التدخلي نفسه ، ولتشكل سدا منيعا في وجه التلوين غير الواضح ، الذي يسمح للعمل الروائي بقدرة على الحركة .

الحوار . يأتي الحوار غالبا ، داخل السرد . فهو لا يتمتع باستقلال نسبي . يصبح الحوار هنا